

خُطْبَةٌ جُمُعَةٌ

الْبَرِّيَّةِ الْوَقَائِمِ
فِي السِّيَاقِ الْأَوْوِي

لِلْأَسْتَاذِ الدُّكُورِ خَالِدِ مُحَمَّدِ حَنْفِيٍّ

مسجد المهاجرين - بون - ألمانيا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد، فقد تحدثنا في الجمعة الماضية عن ميسر حاجتنا في الغرب إلى التربية الوقائية والتي تعني: العناية باتخاذ التدابير والإجراءات الوقائية التي تمنع وقوع الخطر أو الأزمة التربوية قبل أن تقع، وأن ذلك خير من حسن معالجتها والتعامل معها بعد وقوعها، وذكرنا طرفاً من التأصيل للمنهج الوقائي في التربية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، **واليوم نتابع حديثنا التنزيلي والتطبيقي للمنهج الوقائي في السياق الأوروبي وهذا طرف من أهم مجالاته:**

1- التحصين العقدي للشباب في الغرب: لقد تطورت أدوات وأساليب التشكيك في الدين والقطيعات والثوابت الدينية في عالمنا الرقمي الشبكي سريع التطور سهل التواصل ولم يتطور معه الدرس العقدي في معاهد ومؤسسات التعليم الشرعي، الأمر الذي جعل الشباب صيداً سهلاً أمام هذه الأفكار التشكيكية في الدين وقطيعاته، والواجب الأكبر على الأبوين والدعاة هو تحصين من لم يتأثر من الشباب بهذه الأفكار **ومن أهم الوسائل لذلك:**

البناء المبكر للإيمان: فقد كان النبي ﷺ يتعهد الفتيان وهم حزاورة أي في سن السادسة إلى العاشرة فيبني عندهم الإيمان قبل القرآن ثم يعلمهم القرآن فيزدادون به إيماناً، ومنها: **ضرورة تجديد الدرس العقدي:** فنحن ندرس العقيدة بالغرق في جدل ومناقشات كلامية وحديث عن فرق بادت وأسئلة ومناقشات انتهى زمنها فلا يتحصن بها الشباب من التشكيك ولا يزدادون بها إيماناً، ومنها: **ضرورة تحصين الأبوين قبل الأبناء:** فإذا لم يمتلك الأبوان أجوبة متماسكة على أسئلة البناء منذ الصغر ولم يتابعوا مصادر التلقي عندهم ستتعدد أمامهم مهمة الإصلاح الفكري وردّهم إلى طريق الإيمان إذا شردوا، وهذا لن يتم إلا بدراسة وعناية الوالدين بالدراسة الشرعية ومحو الأمية الدينية لديهم، ومنها: الموازنة بين العقل والقلب؛ فإنّ بناء الإيمان لا يتم بنظريات عقلية مجردة وإنما بتحريك القلب ودوام الضراعة إلى الله كما في دعاء النبي ﷺ الذي كان يردد كثيراً: **"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"** الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه. بسند صحيح.

2- وقاية الأسرة من أسباب الشقاق والطلاق: الأسرة هي أهم مؤسسة يُنط بها حفظ الدين والهوية في الغرب بعد ضعف المؤسسات الأخرى أو غيابها، وقد ارتفعت نسب الطلاق والشقاق شرقا وغربا على نحو غير مسبوق، إلى حد كاد أن يُزهد الجيل الجديد في الزواج وبناء الأسر، وقبل أن نبحت عن كيفية معالجة آثار الشقاق والطلاق على الزوجين والأولاد والمجتمع علينا أن نبحت عن كيفية الوقاية والتحصين للأسرة من أسبابهما؟ ومن الوسائل المعينة على ذلك:

التأهيل المبكر قبل الزواج: النفسي والجنسي والمالي وضرورة أن يدرك الزوجان قبل الزواج أنهما مختلفان خلقة وطبعا وتكويننا فلا بد من الاستمتاع بهذا الاختلاف بدلا من اتخاذه مطية للتدابير والتعارك، ومنها: **التعاون والتغافر والتواد:** الأسر لا تُبنى على المعاندة والندية والاستعلاء والسيطرة كما يقع الآن وإنما على أن يتعاون كل من الزوجين مع الآخر ويتنازل له وأن يجسدا معا هذه الآية قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، فاللباس فيه معنى الستر والوقاية والأمان والتداخل حتى صارت قطعة من زوجها والعكس، ومنها: **الاحتساب والصبر:** فلا تنجح أسرة إلا بالصبر وطلب الأجر من الله على كل تعب أو نصب أو مكابدة مع الأولاد أو أحد الزوجين مع الآخر.

3- تحصين الشباب في الغرب من الشبهات والشهوات: وخير سبيل لتحصين الشباب من الشبهات الفكرية هو نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم حين قال له: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته؛ وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمرُّ عليها صار مَقْرًا للشبهات". وقد عالجت حالة لشابٍ أَلحدَ وترك الإسلام بعد أن كان داعية إليه وسبباً في اعتناق الآلاف الإسلام في أحد البلدان الأوروبية، والسبب أنه جعل قلبه مقراً للشبهات دون تكوين علمي وبناء روحي. وأما التحصين ضد الشهوات: **فبناء تيار روحي يواجه طوفان الشهوات العاتي؛** فكلما نبت الإيمان في القلب وارتفع منسوب الخشية لله عزوجل كلما كان قويا في مواجهة الشهوات؛ فيوسف عليه السلام قال معاذ الله واستعصم بالله من الوقوع فيما حرمَ بربانيته وهَمَّته قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ

الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾
 [يوسف: 33-34]، والربانية هي العلاقة بين الصيام كبديل للزواج في تحقيق العفة وتجنب الفواحش في قوله ﷺ: " يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فإنه أَعْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ" متفق عليه. ولا بد أيضا من تعجيل الإحصان بالتيشير المنضبط لتزويج الشباب والتعامل بواقعية وعملية مع الفتن.

4- وقاية المكون المسلم في الغرب من الفتن والأزمات: المؤسسات الإسلامية في الغرب تواجه تحديات كبرى في مسارات مختلفة وهذه التحديات في تزايد مستمر، ولا بد لهذه المراكز والمؤسسات أن تبحث في كيفية الحفاظ على مكتسباتها وتجنب المخاطر التي يمكن أن تهدد وجودها ولا تنتظر أن تقع الواقعة ثم تفكر ماذا تفعل! فعليها أن تفيد من جيل الشباب وأن تُظهر وجودهم في المؤسسات وأن تُردم الفجوة بين الجيل الأول والأجيال التي تليه، ثم تطلق المبادرات المجتمعية التي تتحصن فيها بالمجتمع ومؤسساته، ثم لا بد من الاتحاد والتكتل ونبد الفرقة وكل ما يكدر وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم وأن نُسدّد ونقارب في هذا الباب، ثم لا بد من الوعي والمشاركة السياسية الفاعلة، والاستمرار في تطوير عمل المؤسسات لتكون جاذبة للناس خاصة الشباب، وأن تبحث سبل تأمينها من مخاطر التوقف بسبب قصور الدعم والتمويل.

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعزتك أن نغتال من تحتنا، اللهم فرج الكرب عن أهلنا وإخواننا في غزة وفلسطين والسودان واليمن وكل مكان يا رب العالمين، اشف مرضانا وارحم موتانا، والحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور
 خالد محمد حنفي

